

## معرفة الله في كتابات ديونيسيوس الأريوباغيتي\*

إيريني أرتامي وخريستوس تارايس  
نقلتها إلى العربية اسرة التراث الأرثوذكسي

يمكن وصف أعمال ديونيسيوس بأنها عرض لما يمكن أن يعرفه الإنسان عن الله وكيف يمكنه بمعرفته تسمية الله. إنه مهتم بالتقدم، ليس وفقاً لكلمات الحكمة البشرية، بل وفقاً للكتاب المقدس [٤٣]. فمن ثم تُكتسب معرفة الله من خلال تفسير التراتيبات الرمزية. يستند ديونيسيوس في هذا الموقف إلى ما يلي: "يجب أن نرفع غير المادي ونثبت أعين أذهاننا على تدفق النور ذلك، والذي هو أولي فعلاً وأكثر من أولي، وهو الذي يأتي من مصدر الألوهية هذا، أعني الآب. هذا هو النور الذي يجعلنا نعرف عن طريق الرموز التمثيلية تراتيبات الملائكة الفائقة البركة. لكننا بحاجة إلى الارتقاء من تدفق الاستنارة هذا حتى نصل إلى شعاع الضوء البسيط نفسه" [٤٤].

ينبغي فهم معرفة الله على أنها معرفة صفات الله وأنماط كيانه والاتجاه من "السماء" إلى "الأرض" وليس العكس: "... لقد نزلت من أعلى الفئات إلى أدناها، واحتضنت عددًا متزايدًا من المفاهيم التي زادت في كل مرحلة من مراحل النزول، ولكنها في الرسالة الحالية تتصاعد من أسفل نحو فئة السمو، وبما يتناسب مع صعودها تنكمش مصطلحاته، وعندما ينتهي الصعود كله سيكون باهتًا تمامًا، لكونه بالنهاية متحدًا تمامًا مع الذي تعجز الكلمات عن وصفه" [٤٥].

إن الشرط المسبق لمعرفة الإنسان لله هو إعلان الله لذاته. والافتراض المسبق لإعلان الله لذاته هو عدم قابليته للفهم. إن مصطلح "الإعلان" يدل على شيئين: أن معرفة الله مستحيلة كما معرفة إرادة الله وقدرته على الإعلان عن نفسه وميزة تلقي الوحي عند الإنسان [٤٦].

إذاً يمكن وصف الجزء الأكثر أهمية من أعمال ديونيسيوس بأنه عرض لما يمكن أن يعرفه الإنسان عن الله وكيف يمكنه، بمعرفته، أن يسمي الله. إنه مهتم بالعمل، ليس بحسب كلمات الحكمة البشرية، بل بحسب الكتاب المقدس [٤٧]. في بحثه عن معرفة الله بحسب ما قاله الكتاب المقدس، يلجأ أيضًا إلى جهود الفلاسفة. النقطة التي تلفت الانتباه أكثر من غيرها عند ديونيسيوس هي إصراره على أن موضوع اهتمامه يتجاوز تمامًا قدرة الإنسان على الفهم. يمكن مقارنة حقيقة الله من خلال التأمل في الرموز الإلهية. اللاهوت الرمزي هو بناء بشري يحاول التقاط مجموعة متنوعة من الطرق الدنيوية للامحدودية الإلهية. إن مفهوم الله أقرب إلى الواحد أو الصالح [٤٩]. لذلك من خلال الرموز، يحاول الإنسان فهم الله على أنه واحد وصالح دون أن ينجح في ما هو أكثر تقدمًا من ذلك.

يدعم ديونيسيوس مبدأ أن اللاهوت يتجاوز ما هو هامد كما هو حي. لهذا السبب، يؤكد ديونيسيوس أن أي تأكيدات حول اللاهوت لا تتعارض مع نفينا، ولكن يجب تجاوز كليهما: حتى النفي يجب أن يُنقَض. إن الأسماء السلبية المذكورة في جميع حالات الله الثلاثة. إنه ليس كائنًا واحدًا بين آخرين، ولكن في طبيعته النهائية

يسكن على مستوى لا يوجد فيه أي شيء غيره. النوع الوحيد من الوعي الذي قد ينسب إليه الإنسان إليه هو ما يمكن وصفه بالوعي الشمولي [٥٠]. إن الله أسمى من كل العالم المخلوق. لا يميّز نفسه عن الجنس البشري، لكونهم أنفسهم متوقفين عند هذا المستوى ويجب أن يتحوّلوا بالكامل بواسطته. ومع ذلك هم يميّزون بينهم وبينه، إذ بسبب المستوى الأدنى لكيانهم المحدود هم ينظرون إلى الأعلى ويرون أن المستوى المطلق يتجاوزهم [٥١].

بالنسبة إلى ديونيسيوس، اللاهوت الصوفي هو "مثل سلّم قائم على الأرض تصل قمته إلى السماء حيث ملائكة الله يصعدون وينزلون، ويقف فوقه الله القدير" [٥٢]. ويؤكد أن الله هو مبدأ البساطة الذي هو مصدر كل الكائنات. بشكل عام، إن طريقة تحدّث ديونيسيوس عن الله الذي هو مصدر الكمال وجميع الكائنات هي نفس طريقة أفلوطين [٥٣] وبروكلس الفيلسوف، وتعاليم ديونيسيوس عن الله في الثالوث وقواه هي تعديل جذري مرتّجل لأفكار فلاسفة الأفلاطونية المحدثة حول الواحد والكون العقلي والكون عمومًا [٥٥]. لقد كان هؤلاء الثلاثة مترابطين في نفس الفترة التاريخية، ما نتج عنه استخدام تعابير أو أشكال تعبيرية مشتركة.

يتبع ذلك التفاعلات التي تمت ملاحظتها. ومع ذلك، على الرغم من أن ديونيسيوس يستخدم تعابير أو عبارات من أفلوطينوس وبروكلس، إلا أنه تمكّن من تفويض قراءة مسيحية لهما (التفويض هو تقريب الأجزاء من بعضها وجعلها قطعة واحدة: قاموس المعاني). بشكل عام، يؤكد الأريوباغيتي في "اللاهوت الصوفي" على الاتحاد مع الكائن الإلهي من خلال رحلة صعودية إلى صمت الظلام الإلهي الذي يسمو فوق كل معرفة [٥٦]. يحكي سيرجيو لابورتا عن أنه "من خلال التخلي عن كل الإدراك الحسي والنشاط العقلي والهوية النفسية، يصبح المسافر متحدًا تمامًا مع ما هو غير معروف. على غرار غريغوريوس النيصي من قبله، يقدّم ديونيسيوس صعود موسى إلى جبل سيناء كنموذج كتابي أول لهذا الصعود المستيكي [٥٧].

يستخدم الأب ديونيسيوس مثالاً شائعاً جدًا من غريغوريوس النيصي. رمز "الظلمة" بالمعنى الوارد في خروج ٢٠:٢١. لم يقترب الناس من الجبل، وظلوا على مسافة، بينما اقترب موسى من الظلام الدامس حيث كان الله. لا يدعى الله "ظلمة"، لكنه يبدو كساكن في الظلمة بسبب عدم قدرتنا على استيعاب جوهره أو طبيعته الداخلية. بمعنى آخر، الظلام فينا وليس فيه.

هذا يتوافق مع أب مهم آخر للكنيسة، يوحنا الذهبي الفم. فهو يقول أن الناس لا يستطيعون رؤية طبيعة الله أو جوهره، لكنه اختار أن يظهر نفسه بطرق وأنواع أو أشكال يمكن للعقل البشري أن يدركها. كل هذا يكشف أن هذه الشهادات تعبر عن تنازل إلى ضعف الطبيعة البشرية، ما يتطلب شيئًا تستطيع العين أن تراه والأذن أن تسمعه. ليس بطاقة الإنسان أن يدرك الطبيعة الإلهية نفسها التي هي بسيطة وغير مركبة وخالية من الشكل. لذلك يضطر الله لأن يساعد الإنسان على فهم بعض الأشياء المتعلقة به. يسكب الله الذات الإلهية بشكل مفرط في البشر، وهذه الذات بدورها تنجذب غريزيًا إلى الله. إن النفوس التي تصير مكاناً خصباً لهذه المحبة تكون "مرايا صافية وخالية من الشوائب تعكس وهج النور الأول وفي الواقع الله نفسه" [٥٨]، وتتحد مع الله (التأله). بهذه الطريقة، تمتلئ النفوس البشرية بنور الله الأول وهو يزودهم بالقدرة على فهم الأمور المتعلقة

بالله وجدانياً [٥٩].

الله ليس معروفاً، فقط من خلال معرفة المؤمنين لما يأتي من العقل، وهو غير مرئي، ولكن أيضاً من خلال الجهل به. على الرغم من وجود الفهم الروحي له، والإدراك، والمعرفة، والاتصال، والإدراك الحسي، والرأي، والمفهوم، والتسمية، وما إلى ذلك، إلا أنه يبقى غير مفهوم، ولا مشروح، ولا مسمى. إنه ليس شيئاً موجوداً، لكنه يُرى أيضاً في أي شيء موجود. إنه "الكل في الكل" [٦٠] ومع ذلك فهو ليس شيئاً في مكان ما. الكل يراه في الكل ومع ذلك لا يراه أحد في أي شيء. هذا نقوله عن الله لسبب وجيه، وعلى أساس كل الوجود هو محمود لانسجامه مع كل ما هو سببه [٦١].

يوضح ديونيسيوس أنه عندما يتم تجريد العقل من فكرته عن الله وعن أنماط التفكير البشرية والمفاهيم غير الملائمة عن الإله، فإنه يدخل في "ظلام الجهل" حيث "يتخلى عن كل مخاوف الفهم ويتم لقه في ذلك" الذي هو غير ملموس وغير مرئي بالكامل ... متحدّ... به وهو المجهول تماماً" [٦٢].

لتلخيص معرفة الله وفقاً لديونيسيوس الأريوباغيتي، سنستخدم مقطع لوسكي: "إله ديونيسيوس، غير المفهوم بطبيعته، إله المزامير: الذي جعل الظلام مكانه السري"، ليس هو الإله الأول كما في وحدة الله عند الأفلاطونيين الجدد. إذا كان غير مفهوم، فليس ذلك بسبب البساطة التي لا يمكن أن تتصلح مع التعددية التي تتلوث بها كل المعرفة المتعلقة بالمخلوقات. إنه، إذا جاز القول، عدم فهم أكثر جذرية وأكثر حتمية. في الواقع، لن يكون الله غير مفهوم بالطبيعة إذا كان هذا الغموض متجذراً، كما عند أفلوطين، في بساطة الواحد" [٦٣].

### الجزء الأول: اللاهوت الصوفي في المسيحية الشرقية

### الجزء الثاني: معرفة الله في كتابات القديس غريغوريوس النيصي

\* هذا المقال هو الجزء الثالث من:

Eirini Artemi & Christos Terezis (2019). The mystical theology as a path of man for the divine Knowledge in the writings of Gregory of Nyssa, Dionysius Areopagite, and Maximus the Confessor. De Medio Aevo. 13, 2019. 153-176.

43 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 585-587, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>

44 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 585-587, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.

45 Dionysius the Areopagite, De Mystica Theologia, 3, PG 3, 1033BC, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.

46 Th. Henry Louis Parker, Calvin's Doctrine of the Knowledge of God, Oregon: Wipf and Stock, 2015, p. 12.

47 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 596A-D, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. Cf. R. McInerney, "A History of Western Philosophy, vol. II, part I: The Age of Augustine", Jacques Maritain Center, <http://www3.nd.edu/Departments/Maritain/etext/hwp203.htm> [access 19.9.2016]

48 ibidem.

49 Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 597B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.

50 E. Rolt, Dionysius the Areopagite: On the Divine Names and the Mystical Theology, London: Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library -SPCK, 1920, p. 5. Dionysius the Areopagite, De Divinis Nominibus, 1, PG 3, 596B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>: "Indeed the inscrutable One is out of the reach of every rational process. Nor can any words come up to the inexpressible Good, this One,

- this Source of all unity, this supra-existent Being. Mind beyond mind, word beyond speech, it is gathered up by no discourse, by no intuition, by no name. It is and it is as no other being is. Cause of all existence, and therefore itself transcending existence, it alone could give an authoritative account of what it really is”.
- 51 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 596B, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>; Dionysius the Areopagite *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 593CD, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>.
- 52 Dionysius the Areopagite, *Preface to De Mystica Theologia*, PG 3, 997AB, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.
- 53 Plotinus taught about the One as the source of Being (τὸ ὄν), Life, and Mind. Plotinus, *Enneades* 1, 8, 2; Cf. Chr. Schäfer, *The Philosophy of Dionysius the Areopagite. An Introduction to the Structure and the Content of the Treatise On the Divine Names*, Leiden – Boston: Brill, 2006, p. 86-87. Cf D. Birjukov, “Hierarchies of Beings in the Patristic Thought. Gregory of Nyssa and Dionysius the Areopagite”, in *The Ways of Byzantine Philosophy*, ed. Mikonja Knežević, Contemporary Christian thought series no. 32, Alhambra, California: Sebastian Press, 2015, p. 83.
- 54 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 589BC, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>: “We learn, for instance, that it [the One] is the cause of everything, that it is origin, being, and life. To those who fall away it is the voice calling, 'Come back!' and it is the power which raises them up again. It refurbishes and restores the image of God corrupted within them. It is the sacred stability which is there for them when the tide of unholiness is tossing them about. [...] Source of perfection for those being made perfect, source of divinity for those being deified, principle of simplicity for those turning toward simplicity, point of unity for those made one.... And so it is that as Cause of all and as transcending all, he is rightly nameless and yet has the names of everything that is. Truly he has dominion over all and all things revolve around him, for he is their cause, their source, and their destiny”. Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, 1, PG 3, 596C, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. Cf. Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 589BC, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>; Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 1, PG 3, 596C. Chr. Terezis, *Searches to the ancient Greek Philosophy*, Patra, 2002, p. 163-165. Proclus, *The elements of theology*, p. 160-161, ff, *A Revised Text with Translation, Introduction, and Commentary*, by E.R. Dodds.
- 55 Dionysius the Areopagite, *De Divinis Nominibus*, 2, 4, PG 3, 640D, transl. by Jeanne M. House, <http://www.reversespins.com/dionysius.html>. VI. Lossky, “La théologie négative dans la doctrine de Denys l’Aréopagite”, *Revue de Sciences Philosophiques et Théologiques* 28 (1939) 204-221. VI. Lossky, *In the Image and Likeness of God*, New York: St. Vladimir's, Crestwood, 1985, p. 13-29, 31-43.
- 56 Dionysius the Areopagite, *De Mystica Theologia*, 3, PG 3, 1033C, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920. Dionysius the Areopagite, *De Mystica Theologia*, 4, PG 3, 1045D-1048B, transl. Clarence Edwin Rolt, London: Macmillan, 1920.
- 57 La Porta, “Two visions of Mysticism: The corpus dionysiacum and the Book of Lamentation”, *Revue théologique de Kaslik*, 3-4 (2009-2010), 243-257, p. 252.
- 58 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 3, PG 3, 165A, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 59 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 212BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 60 1Cor. 15:24, transl. by E. Artemi.
- 61 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 2, PG 3, 363-366, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987. Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 412BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 62 Dionysius the Areopagite, *De Ecclesiastica Hierarchia*, 8, PG 3, 412BC, trans. Colm Luibheid and Paul Rorem, New York, NY: Paulist Press, 1987.
- 63 VI. Lossky, *The mystical theology of the Eastern Church*, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 1994, p. 33